

# الإفتاء في مسألة سماع الموتى

كتبه

أبو محمد جميل بن مسعد المليكي

عفا الله عنه

## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد:** فإن الله عزوجل قد أكرم هذه الأمة بشريعة الإسلام الخالدة التي لا يشوبها نقص ولا خلل فلم تترك شأنائهم الناس معرفته في عاجل أمرهم وأجله إلا بيته أتم بيان وأكملة ، وإن مما بيته هذه الشريعة العظيمة الأحكام الخاصة بالموتى وما يجب على الأحياء تجاههم (١).

وكان مما بيته هذه الشريعة الغراء في هذا الباب، مسألة سماع الموتى لكلام الأحياء فقد بيته بياناً شافياً وأوضحته إيضاحاً كافياً ، هذا وما يجب هنا أن

(١) انظر مقدمة أحكام المقابر للدكتور السحيباني (ص ٥).

يعلم، وينبغي أن يفهم، أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله عز وجل فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء وإنما يوقف فيه مع النص إثباتاً ونفيًا<sup>(١)</sup>.

وإذا علمت هذا فاعلم أن الكتاب العزيز والسنة المطهرة هما المرجعان فيها عند الخلاف، والكتاب العزيز والسنة المطهرة كلاهما وحي من الله تبارك وتعالى ولا يمكن أن يتعارضاً أبداً وإنما يقع التعارض في فهم الناس للنصوص الشرعية كما هو حاصل في مسألتنا هذه فقد اختلف أهل العلم فيها قديماً وحديثاً ما بين مثبتٍ ونافٍ، فمجتهد مخطئٌ فله أجر ومجتهد مصيب فله أجران، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، وفي هذا المبحث الذي بين يديك، ذكرت أدلة كل فريق بلا جنف ولا جزاف، وتناولت نقاشها بدون شططٍ ولا إجحاف، وسلكت بحمد الله مسلك العدل الإنصاف، وجعلت الدليل الشرعي هو القائد لنا عند الخلاف، ومن جعل الدليل نصب عينيه أبصر الحق بدليله، وأسميته «الإفتاء في مسألة سماع الموتى» وقد جعلته على خمسة مباحث.

**المبحث الأول:** في بيان سماع الموتى لكلام الأحياء ومن قال به من العلماء وذكر أدلتهم ومناقشتها.

(١) انظر مقدمة الآيات البيّنات للعلامة الألباني (٢١).

**المبحث الثاني :** في بيان أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء وأن هذا هو الأصل في ذلك، وذكر من قال به من العلماء وعرض أدلتهم ومناقشتها.

**المبحث الثالث:** وفيه أن الموتى لا يسمعون مطلقاً، وبيان من قال به، وذكر دليله، ومناقشته.

**المبحث الرابع :** في بيان من توقف في ذلك من العلماء.

**المبحث الخامس :** الترجيح لما مر من المسائل على ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز في جنات النعيم، هذا وإنني أطالب كل أخ وقف على خطأ أن ينبهني عليه، أولديه تقويم أو تنبيه أن يرشدني إليه، وصدري لما يقوله منشراح، وقلبي له منفتح، وله مني خالص الدعاء، والشكر والثناء، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا

الْأَصْلَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].



## التمهيد

**التعريف بالسمع**، السمع: هو قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفي التنزيل ﴿

أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، قال ثعلب: معناه خلا له فلم يشغل

بغيره، والسمع أيضاً: الأذن، والجمع أسماع وقال ابن السكيت: السمع سمع

الإنسان وغيره يكون واحداً وجمعاً. كقوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] لأنه في الأصل مصدر قولك سمعت الشيء سمعاً وسماعاً

وقد يجمع على أسماع، وجمع الأسماع أسامع.

والمِسمَعَةُ والمِسمع والمِسمع، الأذن، وقيل المِسمع خرقها الذي يسمع به ومدخل

الكلام فيها. يقال فلان عظيم المِسمعين والسامِعَتَيْنِ. والسامعتان: الأذنان من

كل شيء ذي سمع. والسامعة: الأذن قال طرفة يصف أذن ناقته:

مَوَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتَقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ<sup>(١)</sup>

**التعريف بالموتى**: الموتى: جمع ميت، يقال قوم موتى وأموات وميتون وميتون

كما يقال: فلان ميّت وميّت .

وقد جمع بين اللّغتين عدي بن الرعلاء فقال:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميّت الأحياء

(١) انظر الصحاح للجوهري، واللسان لابن منظور ومفردات الراغب الأصفهاني، مادة (سمع).

ويستوي فيه المذكر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مِّتًا﴾ [الفرقان: ٤٩]

ولم يقل: ميتة، والموت: هو زوال القوة الحاسة وإبادة الروح عن الجسد. (١).  
وهذا أوآن الشروع في المقصود، فأقول مستعيناً بالواحد المعبود، اختلف أهل العلم في مسألة سماع الموتى في قبورهم لكلام الأحياء (٢) ولهم في ذلك مذاهب وأقوال نذكرها بعون الله تعالى وتوفيقه على النحو التالي :-

### ✻ المذهب الأول : أن الموتى في قبورهم يسمعون كلام الأحياء ويشعرون

بهم

وهذا مذهب الجمهور (٣) من العلماء، منهم :-

١- شيخ الإسلام ابن تيمية (٤) كما في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٦٣) وفي مواضع أخرى من مجموعته .

---

(١) انظر المرجع السابق مادة (موت).

(٢) وقد استفدت كثيراً من مبحث لأحمد القصير في هذا الموضوع، فجزاه الله خيراً .

(٣) نقله عن الجمهور الحافظ ابن رجب في أحوال القبور (ص ٧٦) والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٠/ ٥) والألوسي في روح المعاني (١٢/ ٨٤) عند قوله تعالى ﴿فإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ (الروم ٥٢) وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٠/ ٢٤٠) .

(٤) هو: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام ولد ببحران سنة ٦٦١ هـ وتوفي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ ﷺ تعالى .

- ٢- الإمام ابن القيم (١) في كتابه «الروح» (ص ٨٨).
- ٣- الحافظ ابن كثير (٢) في «تفسيره» (٣).
- ٤- العلامة السفاريني (٤) في «البحور الزاهرة» (١/ ٢٧٩).
- ٥- الحافظ السيوطي (٥) في «شرح الصدور» (ص ٣٩).
- ٦- الإمام ابن مفلح (٦) في «الفروع» (٢/ ٣٠١).
- ٧- الإمام أبو محمد البرهاري (٧) كما روى عنه ذلك ابن مفلح في «الفروع» (٢/ ٣٠٢).

- 
- (١) هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وتفنن في علوم الإسلام ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ.
  - (٢) هو: الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصري أخذ عن شيخ الإسلام وأحبه حباً عظيماً ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ.
  - (٣) في تفسير قول الله تعالى ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ (الروم: ٥٢) ونبه على أن ترجيحه للسماع موجود في بعض النسخ ولا يوجد في البعض الآخر، فالله أعلم.
  - (٤) هو: الإمام العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السِّفَّاريني الحنبلي ولد سنة ١١١٤ هـ وتوفي سنة ١١٨٩ هـ.
  - (٥) هو: العلامة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان المصري السيوطي ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ.
  - (٦) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي كان بارعاً متفناً في علوم كثيرة ولا سيما علم الفروع، توفي بدمشق سنة ٧٦٣ هـ.
  - (٧) هو: العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ.

٨- الإمام السهيلي (١)، كما نقله عنه الحافظ ابن حجر (٢) في «الفتح» (٢٩٨/٣).

وغيرهم من العلماء ورجحه العلامة الشنقيطي (٣) في «أضواء البيان» (٤٢١/٦). وما بعدها وهو اختيار ابن جرير (٤) الطبري (٥) وغيره واستظهره (٦) العلامة ابن عثيمين (٧) **رحمته** في شرحه على صحيح مسلم (١/٢٦٤) تحت حديث (١٢١) حيث ذهب هؤلاء إلى إجراء الأحاديث التي فيها إثبات

---

(١) هو : الإمام العلامة أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي السهيلي ولد سنة ٥٠٨ هـ وتوفي سنة ٥٨١ هـ .

(٢) هو : أبو الفضل الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الكناfi العسقلاني شهاب الدين المعروف بابن حجر إمام فقيه حافظ منفرد بمعرفة الحديث وعلمه في الأزمنة المتأخرة ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ **رحمته** .

(٣) هو : الإمام العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد نوح الجكني ، ولد سنة ١٣٢٥ هـ وتوفي سنة ١٣٩٣ هـ .

(٤) هو : الإمام محمد بن جرير الطبري المفسر المشهور توفي سنة (٣١٠)

(٥) كما نقله عنه الحافظ ابن رجب في أحوال القبور (ص٧٦).

(٦) لكنه قيده بما إذا وجه الخطاب إليه حيث قال :... ولكن الذي يظهر أنه يسمع إذا وجه الخطاب إليه كالسلام ، وقال به أيضاً في التفسير الثمين عند قوله تعالى ﴿فإنك لاتسمع الموتى﴾ [الروم: ٥٢] ولم يقيده بهذا القيد .

(٧) هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي ولد سنة ١٣٤٧ هـ وتوفي سنة ١٤٢١ هـ



السماع على ظاهرها وعمومها وقالوا: إن الميت بعد موته يسمع كلام الأحياء ويشعر بهم .

### ❖ أدلة هذا القول :-

استدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة نذكرها على النحو التالي

:-

**الدليل الأول:** ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (١) من حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه: «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد (٢) قريش فقتلوا في طوى (٣) من أطواء بدر خبيث خبث وكان إذا ظهر على قوم أقام العرصة (٤) ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة (٥) الركي (٦) فجعل يناديهم بأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله فإننا قد

(١) البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .

(٢) قال ابن الأثير في (النهاية) هم أشرفهم وعظماؤهم ورؤساؤهم الواحد صنيدي وكل عظيم غالب صنيدي انظر مادة (صند) .

(٣) قال ابن الأثير في (النهاية) أي بئر مطوية من آبارها . انظر مادة (طوا)

(٤) هي كل موضع واسع لانباء فيه ، انظر النهاية مادة (عرص) .

(٥) أي جانبه .

(٦) قال ابن الأثير في النهاية : الركي : جنس للركية وهي البئر وجمعها ركايا .

وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » وفي صحيح البخاري (١) قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة ونداما .

وفي صحيح مسلم (٢) من حديث أنس رضي الله عنه نحوه من غير ذكر أبي طلحة وفي حديثه « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا » .

وجاء في الصحيحين (٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه « ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون » وفي رواية « إنهم الآن يسمعون ما أقول » .

وقد جاء الحديث في صحيح مسلم (٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ولفظه : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً » .

قالوا: فهذا الحديث الصحيح قد رواه جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم وقد أقسم فيه النبي ﷺ أن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع لما يقول ﷺ من أولئك الموتى بعد ثلاث، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر

---

(١) برقم (٣٩٧٦) .

(٢) مسلم (٢٨٧٤) .

(٣) البخاري (١٤٧٠) ومسلم (٢٨٧٥) .

(٤) مسلم (٢٨٧٤) .

ﷺ في ذلك تخصيصاً، وكلام قتادة الذي ذكره عنه البخاري اجتهد منه، فيما يظهر. (١).

واعترض : بأن عائشة رضي الله عنها قد روت الحديث بلفظ: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق» ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وهذا يدل على أن الرواية التي فيها التصريح بالسماع غير محفوظة، وأما كلام قتادة المذكور آنفاً فقد قال عنه الإمام ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٣/ ٣٥٩) : وعلى تأويل قتادة فقهاء الأئمة وجماعة أهل السنة .

وأجيب : بأن ردّ عائشة لرواية ابن عمر بما فهمت من القراءان مردود عليها رضي الله عنها، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدّم على تأويل من تأوّل من أصحابه وغيره، وليس في القراءان ما ينفي ذلك، فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل ضربه الله للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقّه واتباع؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِذْيِ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١] فهكذا الموتى الذين

ضرب بهم المثل لا يجب أن ينفي عنهم جميع أنواع السماع، بل السماع المعتاد كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل انتفى عنهم السماع المعتاد الذي يتنفعو-ن به. وأمّا سماع آخر فلا ينفي عنهم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن الميت يسمع خفق نعالهم، إذا ولّوا مدبرين، فهذا موافق لهذا فكيف يرفع ذلك (١) .

**قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى** في «أضواء البيان» (٢) بعد نقله لكلام شيخ الإسلام: وقد تراه صرح فيه بأن تأوّل عائشة لا يردّ به النصّ الصحيح عنه **عليها السلام**، وأنه ليس في القراءان ما ينفي السماع الثابت للموتى في الأحاديث الصحيحة. وإذا علمت به أن القراءان ليس فيه ما ينفي السماع المذكور، علمت أنه ثابت بالنصّ الصحيح، من غير معارض. والحاصل أن تأوّل عائشة **رضي الله عنها** بعض آيات القراءان، لا تردّ به روايات الصحابة العدول الصحيحة الصريحة عنه **عليها السلام**، ويتأكد، ذلك بثلاثة أمور:

**الأول:** هو ما ذكرناه الآن من أن رواية العدل لا تردّ بالتأويل.

**الثاني:** أن عائشة **رضي الله عنها** لما أنكرت رواية ابن عمر عن النبي **صلى الله عليه وسلم**: «إنهم ليسمعون الآن ما أقول»، قالت: إن الذي قاله **صلى الله عليه وسلم**: «إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت

---

(١) أضواء البيان (٦/٤٢٨).

(٢) أضواء البيان (٦/٤٢٨-٤٣٠).

أقول لهم هو الحق»، فأنكرت السماع ونفته عنهم، وأثبتت لهم العلم، ومعلوم أن من ثبت له العلم صحّ منه السماع، (١) كما نبّه عليه بعضهم.

**الثالث:** هو ما جاء عنها مما يقتضي رجوعها عن تأويلها، إلى الروايات الصحيحة. قال ابن حجر في «فتح الباري»: ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيّد، عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»، وأخرجه أحمد بإسناد حسن، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة؛ لكونها لم تشهد القصّة، انتهى منه. واحتمال رجوعها لما ذكر قوي، لأن ما يقتضي رجوعها ثبت بإسنادين. قال ابن حجر: إن أحدهما جيّد، والآخر حسن. ثم قال ابن حجر: قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم، ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى ردّ رواية الثقة إلا بنصّ مثله يدلّ على نسخه أو تخصيصه، أو استحالته. انتهى ويمكن أن يجاب على هذه الثلاثة الأمور بثلاثة أمور: -

**الأمر الأول:** أن ما ذكر من أن رواية العدل لا ترد بالتأويل مسلم به، لكن يجب أن يعلم أن ما جاء في سماع أهل القلب خاص برسول الله ﷺ وما جاء في

(١) وتوضيح هذا ما ذكره الحافظ ابن رجب رحمته في (الأحوال) (ص ٧٦) حيث قال: فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع لأن الموت ينافي العلم كما ينافي السمع والبصر فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع.

سماع قرع النعال عند انصراف المشيعين فهو أيضاً خاص بأول الوضع في القبر عند سؤال الملكين وهو غير دائم فلا يفيد عموم سماع الأموات في كل الأحوال والأوقات كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

**الأمر الثاني:** أنه لا يلزم من إثبات العلم لهم صحة السماع منهم ، فلا يلزم من إثبات العلم لهم أنهم يسمعون كلام الأحياء ولكنهم - يعني أصحاب القليب - لما ذاقوا في منازلهم أليم العقاب ، وحق بهم سؤال العذاب ، علموا حينئذ أن ما كان يقوله لهم رسول الله ﷺ هو الحق ، هذا الذي فهمته أم المؤمنين عائشة **رضي الله عنها** من قصة أصحاب القليب ولا يلزم من إثبات العلم في هذا إثبات السماع ، فإن الكافر إذا عذب في قبره علم أنه كان على باطل كما أن المؤمن إذا نعم في قبره علم أنه كان على الحق ، هذا بيان يسير لما يتعلق بالقاعدة السابقة، وأنه لا يلزم من إثبات العلم لهم صحة السماع منهم، وأما ما يتعلق بمسألة سماع أصحاب القليب من رسول الله ﷺ فنؤمن به ونثبت ما جاء به الصحابة العدول رضوان الله عليهم في ذلك ونقول هذه حالة خاصة برسول الله ﷺ كما بين ذلك كثير من العلماء المحققين ، والعلم عند الله تعالى .

**الأمر الثالث:** أن ما ذكره من أنه قد جاء عنها ما يقتضي رجوعها عن تأويلها، إلى الروايات الصحيحة... إلخ .

**نقول:** نعم ، قد جاء عنها ما يقتضي رجوعها عن ذلك إلا أنه لم يصل إلينا سالماً صحيحاً وذلك لضعف إسناده فقد أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم

(٢٥٣٧٢) فقال حدثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن إبراهيم عن عائشة أنها قالت : « لما مر النبي ﷺ يوم بدر بأولئك الرهط فalcوا في الطوي عتبة وأبو جهل وأصحابه وقف عليهم فقال « جزاكم الله شرا من قوم نبي ما كان أسوأ الطرد وأشد التكذيب » قالوا يا رسول الله كيف تكلم قوما جيفوا (١) فقال: « ما أنتم بأنهم لقولي منهم أو لهم أفهم لقولي منكم » وهذا إسناد ضعيف كما ترى فالمغيرة هو ابن مقسم الضبي ضعيف في روايته عن إبراهيم ، وإبراهيم هو ابن زيد النخعي لم يسمع من عائشة (٢)، فالعجب من الحافظ ابن حجر كيف حسن هذا الإسناد ، والعجب من العلامة الشنقيطي كيف تابعه، والله المستعان، أضف إلى هذا أيضاً أنه قد ثبت عنها في الصحيح خلاف هذا وهو الذي اشتهر عنها رحمها الله وجاء في مسند الإمام أحمد بإسناد حسن (٣) عن عائشة رحمها الله نحو ما جاء في الصحيح وفيه قالت عائشة رحمها الله « لقد علموا أن ما وعدتهم حق قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا »

(١) أي ائْتُوا . يقال جَافَتِ المِيتَةُ واجْتَأَفَتْ . والجِيفَةُ : جُتَةُ الميت إذا ائْتَنَ . قاله ابن الأثير في (النهاية) مادة (جيف).

(٢) انظر تحقيق المسند (٤٢/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦١).

❁ **واعترض المانعون أيضاً :** بأنه قد جاء في بعض الروايات **تقييده** عليه السلام

سماع موتى القلب بقوله «الآن» كما في قوله **عليه السلام** «إنهم الآن يسمعون ما أقول» فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت وهو المطلوب وهذه فائدة هامه نبه عليها العلامة الألوسي صاحب «روح المعاني» ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ولكن أهل القلب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي **عليه السلام** بإسماع الله تعالى إياهم خرقاً للعادة ومعجزة للنبي **عليه السلام** كما حرر ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته المعروفة بـ «رد المحتار على الدر المختار» والعلامة محمد بن عبد الوهاب المعروف بابن الهمام وغيرهم من المحدثين وفي «تفسير القرطبي» قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد **عليه السلام** في أن رد الله إليهم إدراكاً سمعوا به مقالته ولولا إخبار رسول الله **عليه السلام** بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين .

ولذلك أورده الخطيب التبريزي في «باب المعجزات» من «المشكاة» (١)، وأجاب المانعون أيضاً بجواب آخر وهو أن النبي **عليه السلام** أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقراً في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون

---

(١) مقدمة الآيات البينات للعلامة الألباني (٢٩-٣٠) .



بعضهم أو ما إلى ذلك إيماء وبعضهم ذكر صراحة كما سيأتي إيضاح ذلك قريباً إن شاء الله.

**الدليل الثاني:** ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (١) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأكعدها فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك في النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ». قال النبي ﷺ « فيراهما جميعاً وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين ». قالوا: وهذا الحديث فيه تصريح من النبي ﷺ بأن الميت في قبره يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى ، وظاهره العموم في كل من دُفِنَ ، ولم يذكر النبي ﷺ فيه تخصيصاً (٢).

**❁ واعتراض:** بأن ما ورد في هذا الحديث مخصوص بأول الوضع في القبر عند سؤال الملكين وهو غير دائم فلا يفيد عموم سماع الأموات في كل الأحوال والأوقات ومما يؤيد هذا ما رواه مسلم في صحيحه (٣) من حديث أنس بن

(١) البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٧٢١٧).

(٢) أضواء البيان (٤٢٣/٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٠) .

مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: « إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ حَقْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا ».

**قال العلامة الألباني **رحمته الله**** بعد أن ذكر استدلالهم بحديث قرع النعال : وهذا كما ترى خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله، " فلا عموم فيه وعلى ذلك حملة العلماء كابن الهمام وغيره (١) اهـ وكذا قال به العلامة ابن عابدين في حاشيته المعروفة بـ «رد المحتار على الدر المختار» بعد أن حرر القول بعدم السماع ثم قال : لكن يشكل عليهم ما في صحيح مسلم: «إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا» إلا أن يخصصوا ذلك بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال جمعا بينه وبين الآيتين فإنه شبه فيهما الكفار بالموتى لإفادة بعد سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى (٢). قال العلامة الألباني: والتخصيص المشار إليه أمر لا بد منه للجمع المذكور ولكن ينبغي أن يعلم أن ذلك كذلك ولو لم يتعارض ظاهره بالآيتين المذكورتين فإن الحديث يدل أنه خاص بأول الوضع فإن لفظه: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاها ملكان . » الحديث متفق عليه (٣). اهـ المراد.

---

(١) مقدمة الآيات البيئات للألباني (٣٨).

(٢) الآيات البيئات (ص ٥٦).

(٣) الآيات البيئات حاشية (ص ٥٦).

**قلت :** وأما ما قاله العلامة الشنقيطي رحمته الله : من أن حديث أنس الذي فيه سماع الموتى قرع النعال ظاهره العموم في كل من دفن وتولى عنه قومه . نقول نعم الحديث ظاهره العموم في كل من دفن وتولى عنه قومه . إلا أنه مخصوص بأول الوضع في القبر مقدمة للسؤال كما في الحديث: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه ... الحديث » وهذا كما ترى خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله، وتوضيح الكلام بأن يقال هذا السماع عام في حق كل من دفن وتولى عنه أصحابه، خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله، وهذا واضح لكل من أمعن النظر في هذا الحديث، والله تعالى أعلى وأعلم.

**الدليل الثالث :** ما أخرجه مسلم في صحيحه (١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَآتَاكُمْ مَا تَوَعَدُونَ غَدًا مُوَجَّحُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرَقَدِ ».

**الدليل الرابع :** ما أخرجه مسلم (٢) من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنها قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْلَمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٥).

الدَّيَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَلْآحِقُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ  
الْعَافِيَةَ».

**الدليل الخامس:** ما أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمُقْبِرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ  
لَآحِقُونَ». قالوا: وهذه الأحاديث فيها مخاطبة النبي ﷺ لأهل القبور بقوله: «  
السلام عليكم»، وقوله: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»، وقوله: «أَسْأَلُ اللَّهَ  
لَنَا وَلَكُمْ العافية» وهذا يدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه لأنهم لو  
كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدم،  
ولا شك أن ذلك ليس من شأن العقلاء، فمن البعيد جداً صدوره منه ﷺ.

❖ **وقد اعترض على هذا الإستدلال وأجيب عنه بما يلي :-**

**أولاً:** ما ثبت في الصحيح<sup>(٢)</sup> أن النبي ﷺ «كان يزور البيت في الحج» وأنه  
كان وهو في المدينة يزور قباء راكباً وماشيًا<sup>(٣)</sup> ومن المعلوم تسمية طواف

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب الحج باب الزيارة يوم النحر فقال: ويذكر عن أبي

حسان عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يزور البيت أيام منى .

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٩١) ومسلم برقم (١٣٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الإفاضة بطواف الزيارة . فهل يمكن أن يقول أحد : بأن البيت وقباء يشعر كل منهما بزيارة الزائر أو أنه يعلم بزيارته (١) ؟

**ثانياً:** ما ثبت من مخاطبة الصحابة للنبي ﷺ في تشهد الصلاة بقولهم: «السلام عليك أيها النبي . . (٢)» . وهم خلفه قريباً منه وبعيداً عنه في مسجده وفي غير مسجده أفيقال: إنه كان يسمعهم ويشعر بهم حين يخاطبونه به وإلا فالسلام عليه محال حينئذٍ وإذا كان لا يسمع هذا الخطاب في قيد حياته أفيسمعه بعد وفاته وهو في الرفيق الأعلى لا سيما وقد ثبت أنه يبلغه ولا يسمعه كما قال ﷺ : «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام (٣)» . ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى (٤).

**ثالثاً:** أننا نسلم سراً في آخر صلاتنا إذا كنا مقتدين وننوي بسلامنا الحفظة والإمام وسائر المقتدين مع أن هؤلاء القوم لا يسمعون له عدم الجهر به فكذا ما نحن فيه .

(١) مقدمة الآيات البيئات ص (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٥) ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن مسعود .

(٣) أخرجه أحمد برقم (٤٣٢٠) والنسائي برقم (١٢٨٣) وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) مقدمة الآيات البيئات ص (٣٧).

على أن السلام هو الرحمة للموتى ونزلهم منزلة المخاطبين السامعين وذلك شائع في العربية كما لا يخفى على العارفين فهذه العرب تسلم على الديار وتخطبها على بعد المزار ومن ذلك مخاطبة النبي ﷺ اهلال حين يراه بقوله : « . . . ربنا وربك الله (١) ».

**قال العلامة الألباني رحمه الله (٢):** وفي ذلك كله رد قوي على قول ابن القيم في « الروح » ( ص ٨ ) وقد ذكر السلام على الأموات - : فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال قال: وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويرد.

وكانه رحمه الله لم يستحضر خطاب الصحابة للنبي ﷺ في التشهد : «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» خلفه في المدينة وبعيدا عنه في سائر البلاد بحيث لو خاطبوه بذلك جهرا لم يسمعهم ﷺ فضلا عن جمهور المسلمين اليوم وقبل اليوم الذي يخاطبونه بذلك أفيقال : إنه يسمعهم ؟ أو أنه من المحال السلام عليه وهو لا يشعر بهم ولا يعلم ؟

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٤٧) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) في تعليقه على الآيات البينات ص (٩١).

وكذلك لم يستحضر رحمته قول شيخ الإسلام ابن تيمية في توجيه هذا السلام ونحوه فقال في « الاقتضاء » ( ص ٤١٦ ) وقد ذكر حديث الأعمى (١) : وقوله: « يا محمد » هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضر المنادي في القلب فيخاطب لشهوده بالقلب (٢) كما يقول المصلي : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » والإنسان يفعل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من سمع الخطاب .

\*ومثله ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما

- 
- (١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٧٨) وابن ماجه برقم (١٣٨٢) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير ( وفي رواية : وإن شئت صبرت فهو خير لك ) فقال : ادعه . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفعه في . قال : ففعل الرجل فبرأ. والحديث في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمته. وقد صححه العلامة الألباني رحمته في صحيح الجامع برقم (١٢٧٩) وفي المشكاة برقم (٢٤٩٥) وفي الترغيب برقم (٦٨١) وفي التوسل (ص ٧٤).
- (٢) قال العلامة الألباني رحمته : وهذا إذا افترض أن النبي ﷺ كان بعيدا أو غائبا عنه لا يسمعه وأما إذا كان ذلك في حضوره ﷺ فلا إشكال اهـ من تحقيق الآيات البيّنات ص (٩٥).

خلق فيك ومن شر ما يدب عليك وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد» (١) .

\* ومن ذلك أيضاً ما جاء في الصحيحين (٢) عن عابس بن ربيعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وآله يقبلك ما قبلتك» .

\* ومن ذلك أيضاً ما جاء في جامع الترمذي (٣) بسند حسن عن نافع ... قال: « نظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» .

\* ومن ذلك أيضاً ما جاء في سنن الترمذي (٤) من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واقفا على الحزورة (٥) فقال «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» . أفيقال في مثل هذا إن هذه الجهادات تسمع ذلك الكلام ، أو يقال

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٠٣) وفي إسناده الزبير بن الوليد وهو مجهول وقد ضعفه العلامة الألباني رحمته الله في الضعيفة برقم (٤٨٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٥٩٧) ومسلم برقم (١٢٧٠) .

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٣٢) وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمته الله برقم (٧٢٥) .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٢٥) وابن ماجه برقم (٣١٠٨) وهو في الصحيح المسند للعلامة

الوادعي رحمته الله برقم (٧١٠) .

(٥) قال ابن الأثير في النهاية : هو موضع بمكة عند باب الحنّاطين وهو بوزن قَسُورَة .



أن خطاب هذه الجمادات ليس من شأن العقلاء؟! ومعاذ الله أن يقول بهذا عاقل أو يتجرئ على نقله ناقل، والله الموفق .

وبعد هذا التحرير الواضح قد يتساءل متسائل عن وجه مخاطبة الموتى بالسلام وهم لا يسمعون؟ وما فائدة السلام عليهم وكيف صحت مخاطبتهم ؟

وإليك الجواب عن هذا السؤال لينجلي عنك صدى الإشكال مستعيناً بالله الكبير المتعال فنقول: لقد تقدم في الجواب السابق أننا نسلم سراً في آخر صلاتنا إذا كنا مقتدين وننوي بسلامنا الحفظة والإمام وسائر المقتدين مع أن هؤلاء القوم لا يسمعون لعدم الجهر به فكذا ما نحن فيه . على أن السلام هو الرحمة للموتى وننزلهم منزلة المخاطبين السامعين وذلك شائع في العربية كما لا يخفى على العارفين فهذه العرب تسلم على الديار وتخطبها على بعد المزار ... إلخ ما تقدم ذكره.

\* وزد على هذا الجواب ما ذكره بعضهم من أن السلام على القبور إنما هو عبادة من العبادات، والقصد منه تذكير النفس بالموت وبحالة الموتى، وليس القصد من السلام عليهم مخاطبتهم، أو أنهم يسمعون ويحيون .

\* أضف إلى ذلك أيضاً ما ذكره الزرقاني في شرح الموطأ في الكلام على حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». ولفظه، قال الباجي وعياض يحتمل

أنهم أحيوا له حتى سمعوا كلامه كأهل القليب ويحتمل أن يسلم عليهم مع كونهم أمواتا لامتثال أمتة ذلك بعده قال الباجي وهو الأظهر. اهـ .

**وقال ابن عبد البر:** روى تسليم النبي ﷺ على القبور من وجوه بألفاظ مختلفة وجاء عن الصحابة والسلف الصالح في ذلك آثار كثيرة وقال ابن رشيح كان **الطبراني** إذا مر بالقبور يسلم ليحصل لهم ثواب التحية وتزكيتها اهـ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ومما قالوه أيضاً أن المقصود بالسلام على الميت الدعاء له لا الخطاب لأن الميت لا ينوى بالسلام ولا يخاطب وأن القصد بسلامه الدعاء له وهذا كله مطابق لما تقدم، والله ولي الهداية والتوفيق .

**الدليل السادس:** ما أخرجه مسلم في صحيحه (١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهَرِّيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ. فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ الْحَدِيثِ وَفِيهِ «فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةً» (٢) وَلَا نَارَ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا (٣) عَلَى التُّرَابِ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَّرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جُعَ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.» قالوا : وهذا يدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم ومعلوم أن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١).

(٢) النائحة هي الرافعة صوتها بالبكاء .

(٣) قال النووي في رياض الصالحين تحت حديث (٧١١) قوله «شنوا» روي بالشين المعجمة وبالمهملة ، أي صبه قليلاً قليلاً .

هذا الحديث له حكم الرفع، لأن استثناس المقبور بوجود الأحياء عند قبره لا مجال للرأي فيه (١).

❦ **واعترض:** على هذا بأنه لم يرد في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة غير وصية عمرو بن العاص هذه وغايتها أنه اجتهد من صحابي وليس بمعصوم رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى يقول ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] وهذا في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى قال ابن أبي مليكة كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (٢) وكان هذا اجتهد منهما فما بالك بمن هو دونهما في الفضل، فالذي ثبت في هذا المقام هو حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّشْيِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» (٣).

(١) أضواء البيان (٦/ ٤٣٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٥) عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع وأشار الآخر بغيره فقال أبو بكر لعمر إنما أردت خلافي فقال عمر ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتها عند النبي ﷺ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ - إِلَى قَوْلِهِ - عَظِيمٌ﴾ قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير فكان عمر بعد - ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر - إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه.

(٣) انظر الكنز الثمين (٣/ ١٧٥) لشيخنا يحيى حفظه الله تعالى.

وأما الأثر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه فلم يرد في السنة ولا عن أحد من الصحابة ما يؤيده.

قال العلامة العثيمين رحمته في «شرح رياض الصالحين» تحت حديث (٩٤٧) :  
أما ما ذكره-النووي- رحمته عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحرجزور(١) قال لعلي أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي يعني الملائكة فهذا اجتهد منه رضي الله عنه لكنه اجتهد لا نوافقه عليه لأن هدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره ولم يكن النبي ﷺ يقف أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحرجزور ويقسم لحمها ولم يأمر أصحابه بذلك غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يقفوا على القبر ويستغفروا لصاحبه ويسألوا له التثبيت فقط هذا هو السنة ثم ينصرف الناس اهـ محل الغرض من كلامه.

**\* قلت:** وأما قول بعض أهل العلم إن الحديث له حكم الرفع(٢) فقد تقدم الجواب عليه وأنه لم يرد في السنة المطهرة ولا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم ما يؤيد ذلك. وزد على ذلك ما ذكره العلامة المقبلي في كتابه «المنار» (٢٧٨ / ١) فقد ذكر أنه لا حجة في قول عمرو بن العاص رضي الله عنه فإنه لم يسند إلى النبي ﷺ شيئاً وإنما هو كغريق يتعلق بما لا ينجي .

---

(١) قال ابن الأثير :الجزور : البعير ذكرا كان أو أنثى إلا أن اللَّفْظَةَ مُؤَنَّثَةٌ تقول هذه الجزورُ وإن أردت ذكراً والجمع جُزُرٌ وجَزَائِر ،انظر النهاية مادة (جزر).

(٢) أضواء البيان(٦/٤٣٢).

ثم هب لو سلمنا أن الحديث له حكم الرفع كما قاله بعضهم فهذه حالة خاصة عند وضع الميت في قبره كما تقدم تقرير ذلك بحمد الله في الجواب على حديث أنس المتقدم في سماع الميت قرع النعال عند انصراف أصحابه عنه فجدد به عهداً، تنل خيراً ورشداً، والله الموفق.

**الدليل السابع:** ما أخرجه أبو داود في سننه (١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ إِذَا فَرَعَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ ».

قالوا : وإذا كان يسمع سؤال السائل فإنه يسمع كلام الأحياء (٢).

\* وقد أجيب عن استدلالهم بحديث عثمان «استغفروا لأخيكم .... الحديث» بأنه استدلال في غير موضعه لأن غاية ما في هذا الحديث أمره ﷺ لصحابته الكرام وللأمة أجمع بالإستغفار للميت والدعاء له بالثبات عند الفراغ من الدفن وأما قول من قال: فإذا كان يسمع سؤال السائل فإنه يسمع كلام الأحياء. فقد أجيب على هذا بأن أحوال الدنيا تختلف على أحوال الآخرة فلا يجوز الخوض في أمور البرزخ وغيرها من أمور الغيب بالأراء والأقيسة بل يجب الوقوف على ما دلت عليه النصوص الشرعية الصحيحة ولانتجاوز ذلك

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١) وحسنه العلامة الوادعي في الصحيح المسند برقم (٩١١).

(٢) أضواء البيان (٦/٤٣٥).

قيد أنملة إلا بدليل صحيح صريح يدل على ذلك، وما أجمل ما ذكره العلامة الألباني في مقدمته على الآيات البيئات (١) حيث قال: واعلم أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله عز وجل فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء وإنما يوقف فيه مع النص إثباتاً ونفيًا.

**الدليل الثامن:** ما أخرجه الطبراني (٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجب ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعدا ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنت رضىت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من قد لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه قال: فينسبه إلى حواء يا فلان بن حواء».

---

(١) مقدمة الآيات البيئات للعلامة الألباني ص (٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٩٧٩) وهو ضعيف جداً كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

**قالوا:** فالميت في قبره يسمع تلقين الملقن له ، وإذا كان قد ثبت أن الميت يسمع قرع النعال في ذلك الوقت فلأن يسمع الكلام الواضح بالتلقين من أصحاب النعال أولى وأحرى (١). وهذا الحديث وإن لم يثبت إلا أن اتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار ، من غير إنكار ، كافٍ في العمل به ، ولولا أن المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم ، وهذا وإن استحسسه واحد ، فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه (٢) ،

**قالوا:** وقد كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّيِّبَاتِ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسَأَلُ » ، فأخبر النبي ﷺ أنه يُسَأَلُ حينئذ ، وإذا كان يُسَأَلُ فإنه يسمع التلقين (٣).

\* وقد أجب عن استدلالهم بحديث أبي أمامة في تلقين الميت بعد الدفن فهناك الجواب عنه والتحقيق مستمداً من الله الإعانة والتوفيق . فالحديث الذي ذكره ضعيف جداً فقد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٧٩) و«الدعاء» (١٢١٤) من طريق محمد بن إبراهيم بن العلاء الحمصي الزبيدي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد الله بن محمد القرشي عن يحيى بن أبي كثير عن سعيد بن عبد الله الأزدي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) أضواء البيان (٦/ ٤٣٥).

(٢) كتاب الروح ص (١٦).

(٣) كتاب الروح ص (١٦).

قال: «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقف أحدكم عند رأس قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلانة ..» إلخ. وهذا إسناد تالف: فإن سعيد الأزدي وعبد الله القرشي مجهولان ومحمد بن إبراهيم الحمصي يسرق الحديث وإسماعيل بن عياش يروي عن غير أهل بلده وهي رواية ضعيفة. قال الهيثمي «في مجمع الزوائد» (١): وفي إسناده جماعة لم أعرفهم. وقال ابن القيم (٢): هذا حديث لا يصح رفعه. وقال أيضاً: هذا الحديث متفق على ضعفه فلا تقوم به حجة (٣). ونقل النووي عن ابن الصلاح قوله: ليس إسناده بالقائم، وقال النووي إسناده ضعيف (٤)، وقال الحافظ ابن حجر في «أمالى الأذكار» هذا حديث غريب وسند الحديث من الطريقتين ضعيف جداً.

**وأما قوله رحمه الله في تلخيص الحبير (٥):** إسناده صالح، فقد تعقبه الصنعاني في «سبل السلام» (٦) والألباني في «إرواء الغليل» (٧) وفي «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١) والمقبلي (٢) قبل ذلك في «المنار» (٣)

---

(١) مجمع الزوائد (٤٨/٣).

(٢) زاد المعاد (٥٢٣/١).

(٣) تهذيب السنن (٢٩٢/١٣).

(٤) المجموع (٢٧٤/٥).

(٥) تلخيص الحبير (١٣٦/٢).

(٦) سبل السلام (٢٢٩/٢).

(٧) إرواء (٢٤٠/٣).



**قال العلامة المقبل (٤) رحمه الله:** وجعل ابن حجر من شواهد - أي حديث التلقين - أيضاً أمر عمرو بن العاص أصحابه أن يقفوا على قبره مقدار نحر جزور ليستأنس بهم عند مراجعة رسل ربه. وهذا الشاهد مختل من وجوه: منها: أنه لا دلالة على التلقين، ومنها أنه لا حجة في قول عمرو فإنه لم يسند إلى النبي ﷺ شيئاً وإنما هو كغريق يتعلق بما لا ينجي.

**وقال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله:** وقال في «المنار» - يعني المقبل - : إن حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه، وأنه أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن حمزة بن حبيب عن أشياخ له من أهل حمص فالمسئلة حمصية. وأما جعل «اسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»: شاهداً له، فلا شهادة فيه. وكذلك أمر عمرو بن العاص بالوقوف عند قبره مقدار ما ينحر جزور ليستأنس بهم عند مراجعة رسل ربه: لا شهادة فيه على التلقين. وابن القيم جزم في «الهدى» بمثل كلام «المنار» وأما في كتاب

(١) الضعيفة برقم (٥٩٩).

(٢) هو: العلامة المجتهد صالح بن مهدي المقبل المتوفى سنة ١١٠٨ هـ.

(٣) واسمه: المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، وهو عبارة عن حاشية للعلامة المقبل على البحر الزخار.

(٤) المنار (١/٢٧٨).

«الروح(١)» فإنه جعل حديث التلقين من أدلة سماع الميت لكلام الأحياء وجعل اتصال العمل بحديث التلقين من غير نكير كافياً في العمل به، ولم يحكم له بالصحة بل قال في كتاب الروح: إنه حديث ضعيف . ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله . وقال العلامة الألباني(٢) بعد أن ذكر كلام الحافظ: وفي كلام الحافظ هذا ملاحظات :-

**أولاً:** كيف يكون إسناده صالح وفيه ذلك الأزدي أو الأودي ولم يوثقه أحد بل بيض له ابن أبي حاتم كما ذكر الحافظ نفسه ومعنى ذلك أنه مجهول لديه لم يقف على حاله ؟ !

**ثانياً:** إنه يوهم أن ليس فيه غير ذلك الأزدي وكلام شيخه الهيثمي صريح بأن فيه جماعة لا يعرفون وقد وقفت على إسناده عند الضياء المقدسي في «المنتقى من مسموعاته له بمرور» رواه من طريق علي بن حجر ثنا حماد بن عمرو عن عبد الله بن محمد القرشي عن يحيى ابن أبي كثير عن سعيد الأودي قال : «شهدت أبا أمامة الباهلي . . » ورواه ابن عساكر من طريق اسماعيل بن عياش نا عبد الله بن محمد به .

---

(١) الروح ص (١٦) .

(٢) الإرواء برقم (٧٥٣) .

**قلت:** وعبد الله هذا لم أعرفه والظاهر أنه أحد الجماعة الذين لم يعرفهم الهيثمي

**ثالثاً:** أن قوله : له شواهد ، فيه تسامح كثير ! فان كل ما ذكره من ذلك لا يصلح شاهداً لأنها كلها ليس فيها من معنى التلقين شئ إطلاقاً إذ كلها تدور حول الدعاء للميت ! ولذلك لم أسقها في جملة كلامه الذي ذكرته اللهم إلا ما رواه سعيد بن منصور فإنه صريح في التلقين ولكنه مع ذلك فهو شاهد قاصر إذ الحديث اشمل منه وأكثر مادة إذ مما فيه ، أن منكراً ونكيراً يقولان : ما نعتقد عند من لقن حجته ؟ فأين هذا في الشاهد ؟ ! ومع هذا فانه لا يصلح شاهداً لأنه موقوف بل مقطوع ولا أدري كيف يخفى مثل هذا على الحافظ عفا الله عنا وعنه . ثم قال : وقال الأثرم : قلت : لأحمد : هذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان بن فلانة ؟ قال : ما رأيت أحداً يفعله إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة يروى فيه عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه وكان إسماعيل بن عياش يرويه، يشير إلى حديث أبي أمامة **رضي الله عنه** . وليت شعري كيف يمكن أن يكون مثل هذا الحديث صالحاً ثابتاً ولا أحد من السلف الأول يعمل به ؟ ! وقد قال النووي في « المجموع » والعراقي في « تحريج الإحياء » : إسناده ضعيف . وقال ابن القيم في « زاد المعاد » : حديث لا يصح .

وله كلام نفيس أيضا في الضعيفة (١) حول هذا الحديث حرر فيه ما تقدم ذكره  
ثم قال : وجملته القول أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعاً . وخلاصة  
القول أن هذا الحديث الذي ذكروه حديث ضعيف بل لا يشك أهل المعرفة  
بالحديث في وضعه فهو حديث لا يصح وإذا كان الأمر كذلك فكيف يجعل  
دليلاً على سماع الموتى كلام الأحياء ويصادم به الأدلة الثابتة الصحيحة  
الصریحة في عدم سماع الموتى بل وكيف يصح أن يصادم نصوص الكتاب  
العزیز كقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل: ٨٠] وقوله سبحانه ﴿ وَمَا أَنْتَ  
بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] فيا ليت ما ذكر في هذا الموضوع، والله المستعان .

ثم إن مما يجب التنبيه عليه وإرشاد الأريب إليه أن الاستدلال بهذا الحديث على  
استحباب أو جواز تلقين الميت في قبره بعد الدفن غير صحيح إذ كيف يصح  
العمل به وقد سمعت أن الحديث لا يصح وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح  
الإعتماد عليه أو العمل به مطلقاً ولقد أحسن من قال ... وهل يستقيم الظل  
والعود أعوج ؟

ومن هنا يعلم أن قول النووي أو غيره بأن الحديث الضعيف يستأنس به وذلك  
في أحاديث الفضائل والترهيب وأن هذا الحديث منها مردود بأن هذا الحديث  
ضعيف وضعفه شديد بل هو موضوع في نظر بعض الأئمة فلا يعتمد عليه .

---

(١) انظر الضعيفة برقم (٥٩٩).

فالتساهل في قبول الحديث الضعيف إذا كان من أحاديث الفضائل لا يصح في مسألتنا هذه لأن العمل بالحديث الضعيف لا بد فيه من شروط عند من يقول به ، منها أن لا يكون الضعف في الحديث شديداً، وقد قدمنا أن الضعف في هذا الحديث شديد ، وأن يكون الحكم له أصل في الشرع بأن يكون منصوص على أصله جملة وتفصيلا . وليس لهذا العمل أصل في الشرع (١).

**قال العلامة الألباني (٢) رحمه الله:** ولا يرد هنا ما اشتهر من القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فإن هذا محله فيما ثبت مشروعيته بالكتاب أو السنة الصحيحة ، أما ما ليس كذلك فلا يجوز العمل فيه بالحديث الضعيف ، لأنه تشريع ولا يجوز ذلك بالحديث الضعيف ، لأنه لا يفيد إلا الظن المرجوح اتفاقا فكيف يجوز العمل بمثله ؟! فليتنبه لهذا من أراد السلامة في دينه ، فإن الكثيرين عنه غافلون . نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق .

وأما جعل حديث « اسألوا له الثبیت » شاهداً لحديث التلقين فهذا غير صحيح لأن حديث « اسألوا له الثبیت » ليس فيه إلا الدعاء للميت وسؤال المغفرة والثبات له .

(١) أحكام المقابر للدكتور السحبياني ص (٣٧٤).

(٢) الضعيفة برقم (٥٩٩).

وكذلك أثر عمرو بن العاص وأمره بالوقوف عند قبره مقدار ما ينحر الجزور  
لا شهادة فيه على التلقين . وقد تقدم الكلام عليه مستوفى والله الحمد والمنة.  
**وأما قولهم:** إن هذا العمل عليه الناس أو عليه عمل أهل الشام فهذا لا حجة  
فيه بل قول الإمام أحمد ما رأيت أحداً يفعله إلا أهل الشام دليل على أن المسألة  
مبتدعة وأنها لم تكن في القرون المفضلة لا في عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا  
فيمن بعدهم من التابعين (١).

وأما قول ابن القيم في كتاب «الروح (٢)» بعد ذكر حديث التلقين فهذا الحديث  
وإن لم يثبت فإتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير انكار كاف  
في العمل به . فلعل هذا قول له قديم، فقد أنكر الحديث وضعفه وأبطل العمل  
به في «زاد المعاد» (١/ ٥٢٣) . وأما ما استدل به من ذهب إلى جواز التلقين من  
أن هذا العمل قد نقل عن بعض الصحابة كأبي أمامة الباهلي ووائل بن الأسقع  
وغيرهما **رضي الله عنهم** فقد أجيب عن هذا القول: بأن المشهور من عمل المسلمين في  
عهد النبي ﷺ وخلفائه أنهم لا يفعلون ذلك والحجة في فعل النبي ﷺ  
وخلفائه، فلو كان خيراً ونافعاً للميت لفعله النبي ﷺ وأرشد إليه ، ولاشتهر  
ذلك فإن مثل هذا العمل مما تتوافر الدواعي على نقله ولم ينقل فيه شيء

---

(١) قال العلامة الألباني **رحمته** في الإرواء تحت حديث أبي أمامة في التلقين برقم (٧٥٣): وليت شعري

كيف يمكن أن يكون مثل هذا الحديث صالحاً ثابتاً، ولا أحد من السلف الأول يعمل به ؟!

(٢) كتاب الروح ص (١٦).

صحيح، ولذلك قال الإمام أحمد رحمته الله: ما رأيت أحداً فعل ذلك إلا أهل الشام . ثم إن النقل عن أبي أمامة الباهلي لا يصح سنده .

وأما واثلة بن الأسقع فليس للأثر عنه إسناد يعرف والذي ورد في السنة إنما هو سؤال الله للميت الثبات في تلك الحال أما مخاطبة الميت فهذا لا يصح الحديث فيه وسؤال التثبيت له كاف ونافع له في هذا المقام بإذن الله وهو الذي صح فيقتصر عليه حتى لا يخرج بالشرع إلى حد البدع (١).

وخلاصة القول: أن تلقين الميت في قبره بعد دفنه بدعة محدثة ولم يكن في عهد النبي صلوات الله عليه وآله ولا في عهد الصحابة وخلفائه من بعده ولم يصح فيه دليل يدل على استحبابه أو جوازه والأصل في العبادة الحضر والمنع إلا بدليل ولذلك لم يؤثر فيه عن العلماء المتقدمين قول ، ولهذا قال الإمام ابن قدامة (٢): أما التلقين بعد الدفن فلم أجد فيه عن أحمد شيئاً ولا أعلم فيه للأئمة قولاً سوى ما رواه الأثرم قال : قلت لأبي عبد الله فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان بن فلان اذكر ما فارقت عليه شهادة أن لا إله إلا الله فقال : ما رأيت أحداً فعل هذا إلا أهل الشام .. اهـ. فهذا يدل على أنه لم يكن معروفاً ولا معتاداً في عهد السلف الصالح (٣).

(١) أحكام المقابر للدكتور السحيباني ص (٣٧٥).

(٢) المغني (٣/ ٤٣٨).

(٣) أحكام المقابر ص (٣٧٦).

ولقد أحسن من قال :

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداء من خلف

**الدليل التاسع :** ما أخرجه البيهقي في «شُعْبِهِ» (١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

قَالَ: « إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » .

\* وقد أجاب المانعون بأن الحديث ضعيف فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب

القبور» باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء فقال: حدثنا محمد بن قدامة الجوهري

: حدثنا معن بن عيسى القزاز : أخبرنا هشام بن سعد : حدثنا زيد بن أسلم ،

عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه «إذا مر الرجل بقبر أخيه ..» فذكر الحديث

وهذا كما ترى موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه ومع كونه موقوفاً عليه ؛ فإنه منقطع

وضعيف . أما الانقطاع ؛ فلأن زيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه ؛ كما

قال ابن معين . وأما الضعف ؛ فمن أجل محمد بن قدامة الجوهري فقد قال

ابن معين : ليس بشيء . وقال أبو داود : ضعيف ، لم أكتب عنه شيئاً قط . وقد

جاء الحديث بلفظ آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ما من عبد يمر

بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا ، فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» .



وإسناده ضعيف جداً لأنه من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك وقد ساق الذهبي رحمته هذا الحديث من جملة ما أنكر عليه .

**الدليل العاشر :** ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم» .

وقد أجاب المانعون بأن الحديث فيه من لا يعرف حاله فقد قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» وفيه عبد الله بن سمعان (٢) ولم أقف على حاله . قلت: قد ذكر هذا الحديث الحافظ ابن رجب في «الأهوال» ( ص ٨١ ) من طريقه وعرفنا بحاله ، وأنه متروك ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

**الدليل الحادي عشر :** ما أخرجه البيهقي (٣) والحاكم (٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وقف على مصعب بن عمير وعلى أصحابه حين رجع من

(١) برقم (٤٠٣١) .

(٢) وهو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي أبو عبدالرحمن المدني وقد ينسب إلى جده قال الحافظ في التقریب متروك اتهمه بالكذب أبو داود وغيره .

(٣) في دلائل النبوة كما قيده السيوطي في ( الدر المشور ) قاله العلامة الألباني رحمته تعالى . وانظر أهوال القبور للحافظ ابن رجب (ص ٨١) .

(٤) المستدرک (٢/ ٢٤٨) .

أحد فقال : «أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى فوزورهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم أحد عليهم إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة».

\* وأجاب المانعون بأن الحديث ضعيف ، فقد أعله الحافظ ابن رجب في «أهوال القبور» بالإضطراب والإرسال ، حيث قال : ورواه عمرو بن صهبان عن معاذ بن عبد الله عن قطن بن وهب عن عبيد الله مرسلًا .

ورواه يحيى بن العلاء عن عبد الأعلى بن أبي فروة عن قطن بن وهب عن ابن عمر عن النبي ﷺ - خرجه الطبراني وذكر ابن عمر فيه وهم وروى عن عبيد بن عمير عن أبي ذر ولعل المرسل أشبهه وبالجمله فهذا إسناد مضطرب ومتمنه مختص بالشهداء (١) . اهـ

وأما قول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد تعقبه الذهبي بقوله : كذا قال وأنا أحسبه موضوعاً ، وقطن - يعني ابن وهب أحد رواة الحديث - لم يرويا له وعبد الأعلى لم يخرج له

**الدليل الثاني عشر:** مارواه ابن عبد البر في الإستذكار (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » .

---

(١) أهوال القبور (٨١).

(٢) انظر الإستذكار (١ / ١٨٥) وأهوال القبور لابن رجب ص (٨٠).

وأجاب المانعون بأن الحديث ضعيف فقد قال الحافظ ابن رجب في «أهوال القبور» إنه ضعيف بل منكر. وأما قول الحافظ العراقي رحمته في «تخريج الإحياء» (١) ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشبيلي فقد تعقبه العلامة الألباني رحمته حيث قال : .. ومن هذا التحقيق يتبين أن قول عبد الحق الإشبيلي في «أحكامه» :إسناده صحيح غير صحيح، وإن تبعه العراقي في «تخريج الإحياء» وأقره المناوي ! وأما الحافظ ابن رجب الحنبلي ؛ فقد رده بقوله في «أهوال القبور» :يشير إلى أن رواته كلهم ثقات ، وهو كذلك ؛ إلا أنه غريب ، بل منكر .

**الدليل الثالث عشر:** ما أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢) وعبد الغني المقدسي في «السنن» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو رزين : يا رسول الله ، إن طريقي على الموتى، فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم ؟ قال: « قل: السلام عليكم أهل القبور من المسلمين والمؤمنين ، أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » . قال أبو رزين: يا رسول الله ، يسمعون؟ قال: يسمعون، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا . قال: « يا رزين، ألا ترضى أن يرد عليك بعددهم من الملائكة (٣) ».

(١) تخريج الإحياء (٤٠٣١).

(٢) الضعفاء (٣٦٩).

(٣) قال العلامة الألباني رحمته: الحديث بهذه الزيادة منكر.

واعترض المانعون بأن الحديث قد أخرجه العقيلي في «الضعفاء» وقال :لايعرف هذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ومحمد بن الأشعث مجهول في النسب والرواية وحديثه غير محفوظ (١).

**الدليل الرابع عشر :** ما أخرجه أبو داود في «سننه» (٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » .

\* وقد أجاب المانعون على هذا بأن الحديث وإن كان إسناده حسناً إلا أنه ليس صريحاً في ذلك فهو صحيح غير صريح في الدلالة على المقصود وهو سماع الموتى ومما أجاب به المانعون أيضاً أنه قد جاء عنه ﷺ أنه قال : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » قالوا فهذا الحديث صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى . وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى .

---

(١) قاله الحافظ ابن رجب في الأهوال ص (٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٠٤١) . وانظر (السلسلة الصحيحة) برقم [٢٢٦٦] وقد صحح إسناده

العلامة ابن القيم في (جلاء الأفهام) (ص ١٠٨) .

**قال العلامة الألباني رحمه الله:** وأما حديث « من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته » فهو موضوع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » ( ٢٧ / ٢٤١ ) وقد خرجته في « الضعيفة » برقم ( ٢٠٣ ) . ولم أجد دليلا على سماعه عليه السلام سلام من سلم عند قبره وحديث أبي داود ليس صريحا في ذلك فلا أدري من أين أخذ ابن تيمية قوله ( ٢٧ / ٣٨٤ ) : أنه عليه السلام يسمع السلام من القريب وحديث ابن مسعود المتقدم مطلق . والله أعلم

**قال العبد الفقير إلى الله أبو محمد عفا الله عنه:** ويمكن أن يجمع بين هذين الحديثين أعني حديث ابن مسعود : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » وحديث أبي هريرة « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » فيقال - والله تعالى أعلم - إن هؤلاء الملائكة تبلغ نبينا عليه السلام من أمته السلام كما في حديث ابن مسعود فإذا بلغته السلام من أمته رد الله عليه روحه حتى يرد على أمته السلام كما في حديث أبي هريرة وهذا الجمع الذي ذكر يبدو أنه لا بأس به ، والعلم عند الله تعالى .

**الدليل الخامس عشر:** ما أخرجه أحمد في مسنده (١) فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا سفيان عمن سمع أنس بن مالك يقول قال النبي عليه السلام : « إن أعمالكم تعرض

(١) أخرجه أحمد برقم (١٢٦٨٣) .

على أقاربكم وعشائركم من الأموات فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا .»

وقد أجاب المانعون :بأن الحديث ضعيف ، فقد قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٩ /٢) رواه أحمد وفيه رجل لم يسم وقال العلامة الألباني في « الضعيفة » (٢٥٤ /٢) وهذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين سفيان وأنس وبقيّة رجالة ثقات .

وله شاهد من حديث أبي أيوب الأنصاري عند الطبراني في «الأوسط»(١٤٨) ولكنه ضعيف جداً فيه مسلمة بن عُلَيّ الخشنى وهو متروك الحديث فلا يفرح به(١).

ثم غاية ما في هذا الحديث عرض الأعمال على الأموات، ومسألنا غير هذه فتنه(٢).

**الدليل السادس عشر:** ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني عن عبيد الله بن مرزوق قال: كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي ﷺ فمر على قبرها فقال: « ما هذا القبر » فقالوا :قبر أم محجن، قال: « التي كانت تقم

---

(١) انظر تحقيق المسند ط الرسالة (١١٤ /٢٠)

(٢) تنبيه: قد تراجع العلامة الألباني رحمته عن تضعيف الحديث ونقله مع شاهده الآخر إلى الصحيحة برقم (٢٧٥٨) وعلى كل سواء صح الحديث أم لم يصح فليس فيه دلالة على السماع كما هو واضح، والله أعلم .

المسجد؟» قالوا: نعم، فصف الناس فصلى عليها ثم قال: «أي العمل وجدت أفضل» قالوا: يا رسول الله أسمع قال: «ما أنتم بأسمع منها» فذكر أنها أجابته: فَمُ المسجد .

وقد أجاب المانعون بأن الحديث ضعيف فلا حجة فيه، فقد قال ابن رجب في «الأهوال» ص ٨٦ رواه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده وهذا مرسل .

**الدليل السابع عشر:** ما رواه أحمد في «مسنده» (١) عن رجل عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : «إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره» فقال ابن عمر وهو في المجلس ممن سمعت هذا قال من أبي سعيد فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد فقال يا أبا سعيد ممن سمعت هذا قال من النبي ﷺ .

وقد أجاب المانعون بأن إسناده ضعيف لإبهام راويه عن أبي سعيد رضي الله عنه .

**الدليل الثامن عشر:** ما أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٢٩ / ٣) من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه : أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأحد فقال : «اللهم إن عبدك و نبيك يشهد أن هؤلاء شهداء و أنه من زارهم و سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه» .

(١) أخرجه أحمد برقم (١٠٩٩٧) .

**قال العطف :** و حدثني خالتي أنها زارت قبور الشهداء قالت : و ليس معي إلا غلامان يحفظان علي الدابة قالت : فسلمت عليهم فسمعت رد السلام قالوا : و الله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا قالت : فاقشعرت فقلت يا غلام ادن بغلتي فركبت .

**وأجاب المانعون :** بأن الحديث ضعيف، فقد قال الذهبي **رحمته** : إنه مرسل .

**الدليل التاسع عشر :** ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ** قال : «ما من عبد يمر على قبر رجل مسلم يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» .

وقد أجاب المانعون بأن الحديث ضعيف فقد ذكره الحافظ ابن رجب في «الأهوال» (ص ١٤٨) وقال عبدالرحمن بن زيد فيه ضعف وقد خولف في إسناده

**الدليل العشرون :** ما أخرجه عبدالزاق في «المصنف» (١) عن زيد بن أسلم قال : مر أبو هريرة وصاحب له على قبر فقال أبو هريرة : سلم . فقال الرجل أسلم على القبر ؟ فقال أبو هريرة : إن كان رأيك في الدنيا يوما قط إنه ليعرفك الآن .



**وأجاب المانعون:** بأن الحديث ضعيف ، قال العلامة الألباني رحمته في تحقيق «الآيات البينات» (ص ٧٠): أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٦٧٢٣) وفيه يحيى بن العلاء وهو وضاع.

**الدليل الحادي والعشرون:** ما ادعاه بعضهم من أن سماع الموتى مجمع عليه (١). وقد أجاب المانعون: بأن هذا الإجماع مبني على هيام وأنه كسراب بقية يحسبه الضمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ويكفي في هدم هذا الإدعاء وبطلانه ما تقدم ذكره من المناقشة العلمية لأدلة القائلين بسماع الموتى وقد تعجب من هذا القول العلامة الألوسي رحمته في «الآيات البينات (٢)» وذكر: أنه قول من لا فهم له، والله المستعان .

**الدليل الثاني والعشرون:** كثرة المرائي التي تقتضي سماع الموتى ومعرفتهم لمن يزورهم ، وهذه المرائي وإن لم تصلح بمجرد لها لإثبات مثل ذلك ، فهي على كثرتها وأنها لا يحصيها إلا الله قد تواطأت على هذا المعنى ، وقد قال النبي صل الله عليه وسلم : «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ (٣)» يعني ليلة القدر، فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطىء روايتهم له .

(١) الروح ص (٥).

(٢) الآيات البينات ص (٧٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقد أُجيب على هذا بما ذكره العلامة ابن القيم رحمته في كتابه «الروح» (١) بعد ذكر عدد من المرائي حيث قال: على أنا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها .

**قلت:** وما ذكره من الحجج فهو على ثلاثة أضرب، إما أحاديث صحيحة وهي محمولة على الخصوص كما تقدم بيانه، وإما أحاديث صحيحة لكنها غير صريحة، وإما أحاديث ضعيفة لا يصح الإستدلال بها.

وأما المرائي فكما ذكر رحمته من أنها لا تصلح بمجرد إثبات سماع الموتى وإذا تجلّى لك هذا الأمر حلّ عنك كثيراً من الإشكالات، والله المستعان .

وبهذا القدر نكون بعون الله وتوفيقه قد انتهينا من ذكر أدلة القول الأول ومناقشتها وقد آن الأوان أن نشرع في ذكر القول الثاني وذكر أدلته ومن قال به ومناقشة ذلك فنقول مستعينين بالله تعالى

### **المذهب الثاني : أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء إلا في مواطن مستثناة**

جاء بها الدليل وقد ذهب إلى هذا القول الحنفية وجماعة من المالكية والحنابلة وغيرهم ونذكر من هؤلاء ما يلي :-

١ - الإمام المازري (١)

---

(١) كتاب الروح (١١).

٢- الإمام الباجي (٢)

٣- القاضي عياض (٣)

٣- القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (٤)

٥- العلامة ابن التين (٥)

٦- الإمام ابن الجوزي، كما نقله عنه ابن مفلح في «الفروع» (٢/ ٣٠٢) وهذا نص

كلامه، قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون»: الذي يوجب القرآن والنظر أن

الميت لا يسمع ولا يحس قال تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]

ومعلوم أن آلات الحس قد فقدت اهـ.

٧- الإمام الشوكاني (١) .

(١) هو: الإمام محمد بن علي بن عمر المازري نسبة إلى ( مازر ) بفتح الزاي وكسرهما بلدة بجزيرة ( صقلية ) .

(٢) هو: سليمان بن خلف أبو الوليد القرطبي الباجي نسبة إلى (باجة) بالأندلس فقيه مالكي كبير من رجال الحديث . مات سنة (٤٧٤) .

(٣) هو :عياض بن موسى القاضي أبو الفضل عامل المغرب وإمام أهل الحديث في وقته وكان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم توفي ب ( مراكش ) سنة ( ٥٤٤ ) .

(٤) هو: محمد بن الحسين بن محمد البغدادي أبو يعلى القاضي ابن الفراء صاحب التصانيف فقيه العصر عالم في الأصول وأنواع الفنون عاش ( ٧٨ ) سنة وتوفي سنة ( ٤٥٨ ) .

(٥) هو: عبد الواحد بن التين أبو محمد الصفاقسي المغربي المالكي المشهور بابن التين فقيه محدث مفسر ومن تصانيفه (المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح) .

٨- العلامة ابن الهمام (٢) .

٩- العلامة نعمان الألوسي (٣) .

١٠- العلامة الألباني (٤) .

١١- العلامة ابن باز (٥) في شرحه على «صحيح البخاري» (١/ ٣٩٤) تحت حديث (١٣٣٨) .

١٢- العلامة ابن عثيمين (٦) في شرحه على «صحيح البخاري» تحت حديث (١٣٧٠) .

١٣- اللجنة الدائمة (٧) (٩/ ٨١) .

---

(١) هو: الإمام العلامة محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ رحمته الله .

(٢) هو العلامة محمد بن عبدالوهاب الإسكندري السيواسي .

(٣) هو العلامة نعمان ابن العلامة المفسر محمود بن عبدالله الألوسي (صاحب روح المعاني) .

(٤) هو الإمام العلامة أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني ولد سنة ١٣٣٢ هـ وتوفي سنة ١٤٢٠ هـ رحمته الله .

(٥) هو الإمام العلامة عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز ولد سنة ١٣٣٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢٠ هـ رحمته الله .

(٦) قد تقدمت ترجمته .

(٧) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزیز بن باز

١٤ - شيخنا يحيى حفظه الله ، في «أحكام الجمعة وبعدها» (ص ٦٤) .

### ❁ أدلة هذا القول :-

استدل أصحاب هذا القول بأدلة نذكرها على النحو التالي :-

**الدليل الأول:** قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ إِذَا دُعِيَ إِذَا وَلَوْ مَدَّيْنِ

﴿النمل: ٨٠﴾.

**الدليل الثاني :** قوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ إِذَا دُعِيَ إِذَا وَلَوْ

**مَدَّيْنِ** ﴿الروم: ٥٢﴾.

**الدليل الثالث :** قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا

**أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴿فاطر: ٢٢﴾

قالوا: وظاهر هذه الآيات الكريمة أنَّ الموتى لا يسمعون كلام الأحياء ولا يشعرون بهم . وقد اعترض على هذا الاستدلال وأجيب عنه بعدة أجوبة نذكرها فيما يلي :-

**الجواب الأول :** أن هذه الآيات الكريمة محمولة على المجاز وأنه ليس المقصود بـ

﴿الْمَوْتَى﴾ وبـ ﴿مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الموتى حقيقة وإنما المراد الأحياء من الكفار ،

والمعنى: إنك لا تسمع الكفار الذين أمت الله قلوبهم إسماع هدى وانتفاع ،

وشبَّهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس ؛ لأنهم إذا سمعوا ما يُتلى عليهم

من آيات الله ، كانت حالهم كحال الموتى الذين فقدوا حواس السماع .

وهذا القول فيه حمل للآيات على المجاز ، وذلك بتشبيه الكفار الأحياء بالموتى .  
قال العلامة الشنقيطي رحمته : اعلم أن التحقيق الذي دلت عليه القرائن القرآنية  
واستقراء القرآن أن معنى قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾ أي لا تسمع الكفار  
الذين أ مات الله قلوبهم ، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه - إسماع هدىً  
وانتفاع ؛ لأن الله كتب عليهم الشقاء ، فختم على قلوبهم وعلى سمعهم ،  
وجعل على قلوبهم الأكنة ، وفي آذانهم الوقر ، وعلى أبصارهم الغشاوة ، فلا  
يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع (١) .

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة نذكرها على النحو التالي :-

**الدليل الأول :** أن الله تعالى بعد أن نفى السماع عنهم قال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى  
عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١] فمقابلته جلَّ  
وعلا الإسماع المنفي في الآية عن الموتى بالإسماع المثبت فيها - لمن يؤمن بآياته  
- دليلٌ واضح على أن المراد بالموت في الآية موت الكفر والشقاء، لا موت  
مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد بالموت في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾  
مفارقة الروح للبدن لما قابل ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾

بل لقابله بما يناسبه، كأن يُقال: إن تسمع إلا من لم يمت: أي يفارق روحه بدنه (١).

**الدليل الثاني:** أن استقراء القرآن الكريم يدل على أن الغالب استعمال الموتى بمعنى الكفار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في الآية هم الكفار (٢).

وكقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فقوله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا﴾ أي: كافراً؛ فأحييناه، أي: بالإيمان والهدى، وهذا لا نزاع فيه بين المفسرين، وفيه إطلاق الموت وإرادة الكفر.

وكقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢] أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون (٣).

**الدليل الثالث:** أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ وما في معناها من الآيات، كلها تسلية للنبي ﷺ؛ لأنه يحزنه عدم إيمانهم، كما بينه تعالى في آيات كثيرة،

(١) أضواء البيان (٦/ ٤١٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

كقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَحْزُنُنَّكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧] وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

[النحل: ١٢٧] وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَئِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] إلى غير ذلك

من الآيات ، ولما كان يحزنه كفرهم وعدم إيمانهم أنزل الله آيات كثيرة تسلية له ﷺ ، بَيَّنَّ له فيها أنه لا قدرة له على هدي من أضله الله ، ومن الآيات النازلة

تسلية له ﷺ ، قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي لا تُسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول ، ولو كان معنى الآية وما شابهها: إنك لا تسمع الموتى ، أي: الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له ﷺ (١) .

**واعترضَ :** بأن ما ذُكِرَ من معنى آيتي النمل والروم مسلم فيه ، لكن ذلك لا يمنع الاستدلال بهما على نفي سماع الموتى ؛ لأنَّ الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة ، وكان ذلك معروفاً عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع ، فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم - وهم الموتى في قبورهم - لا يسمعون ، كما يدل مثلاً تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع ، بل هو في ذلك أقوى من زيد ، ولذلك شُبِّهَ به ، وإن كان الكلام لم يُسْقَ للتحديث عن شجاعة الأسد نفسه ، وإنما عن زيد ، وكذلك آيتا النمل والروم ، وإن كانتا تحدثتا عن الكفار الأحياء وشبَّهوا بموتى القبور ، فذلك لا ينفي أن



موتى القبور لا يسمعون ، بل إنَّ كل عربي سليم السليقة ، لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون . ولما لاحظ هذا بعض المخالفين لم يسعه إلا أن يسلم بالنفي المذكور ولكنه قيده بقوله : سماع انتفاع ، يعني أنهم يسمعون ولكن سماعا لا انتفاع فيه وهذا فيه قلب للتشبيه المذكور في الآيتين حيث جعل المشبه به مشبها فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار فإنهم يسمعون حقيقة ولكن لا ينتفعون من سماعهم كما هو مشاهد فكيف يجوز جعل المشبه بهم من موتى القبور مثلهم في أنهم يسمعون ولكنهم لا ينتفعون من سماعهم مع أن المشاهد أنهم لا يسمعون مطلقا ولذلك حسن التشبيه المذكور في الآيتين الكريمتين فبطل القيد المذكور (١)

**واعترض أيضاً:** بأنَّ الله تعالى قال في آية أخرى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] وهذه الآية صريحة بنفي سماع الأموات ، ولا يتأتى حملها على المعنى الذي ذكره.

وأجيب عن هذا الاعتراض : بأن هذه الآية هي كآيتي النمل والروم المتقدمتين ، لأن المراد بقوله: ﴿ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ الموتى ، فلا فرق بين قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ وبين قوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ لأن المراد بالموتى ومن في

(١) مقدمة الآيات البيّنات للعلامة الألباني ص (٢٢).

القبور واحد ، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] أي يبعث جميع الموتى ، من قبر منهم ومن لم يُقْبَر ، وقد دلت قرائن قرآنية على أن معنى آية فاطر هذه كمعنى آية الروم ، منها قوله تعالى قبلها: ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر: ١٨] لأن معناها لا ينفع إنذارك إلا من هداه الله ووفقه ، فصار ممن يخشى ربه بالغيب ويقيم الصلاة ، وما أنت بمسمع من في القبور ، أي الموتى ، أي الكفار الذين سبق لهم الشقاء ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩] ، أي المؤمن والكافر وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢] أي المؤمنون والكفار ، ومنها قوله تعالى بعدها: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣] أي ليس الإضلال والهدى بيدك ، ما أنت إلا نذير وقد بلغت (١) .

**الجواب الثاني:** أن الموتى في الآيات المراد بهم الذين ماتوا حقيقة ، لكن المراد بالسماع المنفي هو خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع به صاحبه ، وأن هذا مثلُ ضربه الله للكفار ؛ إذ الكفار يسمعون الحق ، ولكن لا ينتفعون به . قالوا : وقد يُنفى الشيء لانتفاء فائدته وثمرته ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا

يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلِيَّكَ كَأَلْفَعِمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيَّكَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴿[الأعراف: ١٧٩]﴾. وهذا رأي : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وغيرهما من العلماء ، وذكره ابن جرير الطبري احتمالاً آخر في معنى الآية .

**قال الطبري رحمه الله :** « معنى الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ إسماعاً يتنفعون به ؛ لأنهم قد انقطعت عنهم الأعمال ، وخرجوا من دار الأعمال إلى دار الجزاء ، فلا ينفعهم دعاؤك إياهم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته ، فكذلك هؤلاء الذين كتب ربك عليهم أنهم لا يؤمنون لا يُسْمِعُهُمْ دعاؤك إلى الحق إسماعاً يتنفعون به ؛ لأن الله تعالى ذكره قد ختم عليهم أن لا يؤمنوا ، كما ختم على أهل القبور من أهل الكفر أنهم لا ينفعهم بعد خروجهم من دار الدنيا إلى مساكنهم من القبور إيمان ولا عمل ؛ لأن الآخرة ليست بدار امتحان ، وإنما هي دار مجازاة ، وكذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢] اهـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :** قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه ؛ فإن هذا مثل ضرب للكفار ، والكفار تسمع الصوت ، لكن لا تسمع سماع قبول بفقهِه واتباع ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَهْتَفُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١] ، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل لا يجب أن يُنفى عنهم جميع

أنواع السماع، كما لم يُنفَ ذلك عن الكفار ؛ بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به ، وأما سماعٌ آخر فلا يُنفى عنهم (١) .« اهـ

وهذا القول: دلت عليه آيات من كتاب الله، جاء فيها التصريح بالبيكم والصَّمَم والعمى مُسنداً إلى قوم يتكلمون ويسمعون ويبصرون، والمراد بصممهم : صممهم عن سماع ما ينفعهم دون غيره، فهم يسمعون غيره، وكذلك في البصر والكلام، وذلك كقوله تعالى في المنافقين: ﴿صُمُّوا بكمُ عُمى فهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:

١٨] فقد قال فيهم: ﴿صُمُّوا بكمُ﴾ مع شدة فصاحتهم ، وحلاوة ألسنتهم ، كما

صرح به في قوله تعالى فيهم: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] أي

لفصاحتهم ، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا بكمُ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ﴾ [الأحزاب:

١٩]، فهؤلاء الذين إن يقولوا تسمع لقولهم ، وإذا ذهب الخوف سلقوا المسلمين

بالسِّنَةِ حَدَادٍ، هم الذين قال الله فيهم: ﴿صُمُّوا بكمُ عُمى﴾ ، وما ذلك إلا أن

صممهم وبكمهم وعماهم بالنسبة إلى شيء خاص ، وهو ما يُنتفع به من الحق ،

فهذا وحده هو الذي صَمُّوا عنه فلم يسمعوه ، وبكموا عنه فلم ينطقوا به ،

وعموا عنه فلم يروه ، مع أنهم يسمعون غيره ويبصرونه وينطقون به ، كما قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ

عَنَّهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ [الأحقاف: ٢٦] (١) .

❦ واعتُرض هذا القول: بأن فيه قلب للتشبيه المذكور في الآيات ، حيث جُعل المشبه به مشبهاً ؛ لأن القيد المذكور في هذا القول يصدق على موتى الأحياء من الكفار ، فإنهم يسمعون حقيقة ، ولكن لا ينتفعون من سماعهم ، كما هو مشاهد ، فكيف يجوز جعل المشبه بهم - من موتى القبور - مثلهم في أنهم يسمعون ولكنهم لا ينتفعون من سماعهم ، مع أن المشاهد أنهم لا يسمعون مطلقاً ، ولذلك حسن التشبيه المذكور في الآيات ، فبطل القيد الذي ذكره أصحاب هذا القول.

**الجواب الثالث:** أن معنى الآيات : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي : بطاقتك وقدرتك، ولكن الله تعالى هو الذي يسمعهم إذا شاء ؛ إذ هو القادر على ذلك دون من سواه .

وهذا رأي: ابن التين ، والإسماعيلي ، وذكره ابن جرير الطبري احتمالاً آخر في معنى الآية .

واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

**الدليل الأول:** أن الله تعالى بعد أن نفى السماع قال : ﴿وَمَا آتَىٰ بِهَدْيٍ أُنْمِي عَنْ

ضَلَلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١] ، فبين أن الهداية من الكفر إلى الإيمان بيده دون من سواه ،  
ففيه سبحانه عن نبيه ﷺ أن يكون قادراً أن يُسمع الموتى إلا بمشيئته ، هو  
كفيه أن يكون قادراً على هداية الكفار إلا بمشيئته .

**الدليل الثاني:** أن الله تعالى أثبت لنفسه القدرة على إسماع من شاء من خلقه

بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ ، ثم نفى عن نبيه ﷺ القدرة على ما أثبتته  
وأوجبه لنفسه من ذلك ، فقال له : ﴿وَمَا آتَىٰ بِمُسْمِعٍ مِّنَ الْقُبُورِ﴾ ولكن الله هو  
الذي يسمعهم دونك وبيده الإفهام والإرشاد والتوفيق ، وإنما أنت نذير فبلغ  
ما أرسلت به .

**الدليل الرابع:** قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا**  
**أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾** [فاطر: ١٣-١٤]

فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذين كان المشركون يدعونهم من  
دون الله تعالى وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان المشركون يمثلونهم في  
تماثيل وأصنام لهم يعبدونهم فيها وليس لذاتها كما يدل على ذلك آية سورة (

نوح ) عن قومه : ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

﴾ [نوح: ٢٣] ففي التفسير المأثور عن ابن عباس وغيره من السلف : أن هؤلاء

الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم أي: علم تلك الصور بخصوصها، عبدت. رواه البخاري وغيره (١).

**قال العلامة الألباني رحمه الله (٢):** ومما يؤيد أن المقصود بقوله في الآية المتقدمة

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ إنما هم المعبودون من دون الله أنفسهم وليست

ذوات الأصنام تمام الآية: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾ والأصنام لا

تبعث لأنها جمادات غير مكلفة كما هو معلوم بخلاف العابدين والمعبودين

فإنهم جميعا محشورون قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ

يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ

وَكَانُوا قَوْمًا بَوْرًا﴾ [الفرقان: ١٧ - ١٨] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ

أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ

الْحِجْنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبا: ٤٠ - ٤١] وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا

(١) مقدمة الآيات البينات ص (٢٤).

(٢) المرجع السابق ص (٢٦).

يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴿[المائدة: ١١٦]﴾ وخير ما فسر به القرآن إنما هو القرآن والسنة وليس فيهما - فيما أعلم - ما يدل على أن الله يحشر الجمادات أيضا فوجب الوقوف عند هذه الآية الصريحة فيما ذكرنا.

وقد يقول قائل: إن هذا الذي بينته قوي متين ولكنه يخالف ما جرى عليه كثير من المفسرين في تفسير آية سورة ( فاطر ) وما في معناها من الآيات الأخرى فقالوا: إن المراد بها الأصنام نفسها وبناء على ذلك عللوا قوله تعالى فيها: ﴿لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَ كَافِرٍ﴾ بقولهم: لأنها جمادات لا تضر ولا تنفع.

فأقول: لا شك أن هذا بظاهره يناهض ما بينت ولكنه لا ينفي أن يكون لهم قول آخر يتماشى مع ما حققته فقد قال القرطبي رحمه الله عقب التعليل المذكور آنفا وتبعه الشوكاني وغيره ما معناه: ويجوز أن يرجع ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ وما بعده إلى من يعقل ممن عبدتهم الكفار كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين والمعنى أنهم يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقا وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم كما أخبر عن عيسى عليه السلام بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ وقد ذكرنا نحوه في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

**قلت:** وهو أولى من تفسيرهما السابق لأنه مدعم بالآيات المتقدمة بخلاف تفسيرهما المشار إليه فإنه يستلزم القول بحشر الأصنام ذاتها وهذا مع أنه لا



دليل عليه فإنه يخالف الآيات المشار إليها ولهذا قال الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - في كتابه « قرّة عيون الموحدين » في تفسير آيتي ( فاطر ) ما نصه: ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله:

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ يخبر الخبير أن الملك له وحده والملوك وجميع

الخلق تحت تصرفه وتدبيره ولهذا قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا

يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب

نفع أو دفع ضرر إلى أحد سوى الله تعالى وتقدس بل يجب إخلاص الدعاء -

الذي هو أعظم أنواع العبادة - له وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا

يملك شيئاً وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو فرض أنهم يسمعون فلا

يستجيبون لداعيهم وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي ينكرونه ويتبرؤون

من فعله معهم . فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران: ٥] وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به وأنه لا يغفره

لمن لقيه فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع بل قالوا:

إن الميت يسمع ومع سماعه ينفع فتركوا الإسلام والإيمان رأساً كما ترى عليه

الأكثرين من جهلة هذه الأمة فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ

تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ ﴾ على أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم وغيرهم

مثلهم بداهة بل ذلك من باب أولى كما لا يخفى فالموتى كلهم إذن لا يسمعون .  
والله الموفق .

واعترض على هذا : بأن الآية إنما تتحدث عن الذين عبدوا الموتى من دون الله فكان لابد من تسخيف عقولهم بأنها لا تنفع ولا تضر ولم يكن المقصود أصلاً نفى السماع بل إن النفي المذكور في الآيات للإستدلال على أنها لا تملك للذين يدعونها شيئاً .

وأجيب عن هذا الاعتراض : بأن الآية مع ما جاء فيها من تسخيف عقولهم فإنها قد بينت أن الموتى لا ينفعون حقيقة ولا يضررون حقيقة ولا يسمعون حقيقة كما هو واضح في سياق الآية الكريمة . والله أعلم .

**الدليل الخامس :** ما جاء في الصحيحين (١) عن أبي طلحة رضي الله عنه : أن نبي الله صلوات الله عليه وآله وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقفوا في طوى من أطواء بدر حيث نخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام العرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسماء آبائهم « يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » .

---

(١) تقدم تخريجه .

قال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين :

**الأول:** ما في الرواية الأولى منه من تقييده ﷺ سماع موتى القلب بقوله : «الآن» فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت . وهو المطلوب .

وهذه فائدة هامة نبه عليها العلامة الألوسي - والد المؤلف رحمهما الله - في كتابه « روح المعاني » ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ولكن أهل القلب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ وبإسماع الله تعالى إياهم خرقا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ وفي « تفسير القرطبي » قال ابن عطية : فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقالته ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين .

الآمر الآخر : أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون بعضهم أو ما إلى ذلك إيباء وبعضهم ذكر صراحة أما الإيباء فهو في مبادرة الصحابة لما سمعوا نداءه ﷺ لموتى القلب بقولهم : ما تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ فإن في رواية أخرى عن أنس نحوه بلفظ « قالوا » بدل : « قال عمر » فلولا أنهم كانوا على علم بذلك سابق

تلقوه منه عليه السلام ما كان لهم أن يبادروه بذلك . وهب أنهم تسرعوا وأنكروا بغير علم سابق فواجب التبليغ حينئذ يوجب على النبي عليه السلام أن يبين لهم أن اعتقادهم هذا خطأ وأنه لا أصل له في الشرع ولم نر في شيء من روايات الحديث مثل هذا البيان وغاية ما قال لهم : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . وهذا كما ترى ليس فيه تأسيس قاعدة عامة بالنسبة للموتى جميعا تخالف اعتقادهم السابق وإنما هو إخبار عن أهل القليب خاصة على أنه ليس ذلك على إطلاقه بالنسبة إليهم أيضا إذا ذكرت رواية ابن عمر التي فيها « إنهم الآن يسمعون » كما تقدم شرحه فسماعهم إذن خاص بذلك الوقت وبما قال لهم النبي عليه السلام فقط فهي واقعة عين لا عموم لها فلا تدل على أنهم يسمعون دائما وأبدا وكل ما يقال لهم كما لا تشمل غيرهم من الموتى مطلقا وهذا واضح إن شاء الله تعالى .

وأما الصراحة فهي فيما رواه أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال : « .. فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع [ لما أقول ] منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا » . وسنده صحيح على شرط مسلم . فقد صرح عمر رضي الله عنه أن الآية المذكورة هي العمدة في تلك المبادرة وأنهم فهموا من عمومها دخول أهل القليب فيه ولذلك أشكل عليهم الأمر فصارحوا النبي عليه السلام بذلك ليزيل إشكالهم ؟ وكان ذلك بيانه المتقدم ومنه

يتضح أن النبي ﷺ أقر الصحابة - وفي مقدمتهم عمر - على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القلب وغيرهم لأنه لم ينكره عليهم ولا قال لهم : أخطأتم فالآية لا تنفي مطلقا سماع الموتى بل إنه أقرهم على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القلب وغيرهم لأنه لم ينكره عليهم ولا قال لهم : أخطأتم فالآية لا تنفي مطلقا سماع الموتى بل إنه أقرهم على ذلك ولكن بين لهم ما كان خافيا من شأن القلب وأنهم سمعوا كلامه حقا وأن ذلك أمر مستثنى من الآية معجزة له ﷺ كما سبق (١) .

**الدليل السادس:** ما جاء في الصحيحين (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ « أن الميت ليعذب في قبره بكاء أهله » . فقالت وهل (٣) ابن عمر رضي الله عنهما إنما قال رسول الله ﷺ « أنه ليعذب بخطيئته وذنبه وإن أهله ليكون عليه الآن » . قالت وذاك مثل قوله : إن رسول الله ﷺ قام على القلب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم مثل ما قال « أنهم ليسمعون ما أقول » . أنها قال « إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » . ثم قرأت ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ

(١) انظر مقدمة الآيات البينات للعلامة الألباني ص (٢٩-٣١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (٢١٥٥) .

(٣) قال ابن الأثير : وهَلْ إِلَى الشَّيْءِ بِالْفَتْحِ يَهْلُ بِالْكَسْرِ وَهَلًا بِالسُّكُونِ إِذَا ذَهَبَ وَهُمُّهُ إِلَيْهِ اهـ من

النهاية مادة (وهل) .

أَلَمْوتَى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ . تقول حين تبوؤوا مقاعدهم من النار

. وهذا مصير من عائشة إلى رد رواية بن عمر المذكورة

واعترض : بأن الجمهور قد خالفوها في ذلك وقبلوا حديث بن عمر لموافقة

من رواه من الصحابة (١)

واعترض أيضاً : بأن عائشة لم تحضر قول النبي ﷺ فغيرها ممن حضر أحفظ

لفظ النبي ﷺ وقد قالوا له يا رسول الله اتخاطب قوما قد جيفوا فقال « ما

أنتم بأسمع لما أقول منهم » (٢) .

وأجيب : بأن كون عائشة رضي الله عنها لم تحضر القصة صحيح لكن لا يقدر ذلك في

روايتها لأنه مرسل صحابي وهو محمول على أنها سمعت ذلك ممن حضره أو

من النبي ﷺ بعد ولو كان ذلك قادحا في روايتها لقدح في رواية ابن عمر فإنه

لم يحضر أيضاً ولا مانع أن يكون النبي ﷺ قال اللفظين معاً فإنه لا تعارض

بينهما، قال ابن التين : لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية لأن الموتى لا

يسمعون بلا شك لكن إذا أراد الله إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع

---

(١) انظر البداية والنهاية (٥ / ١٥٠) .

(٢) انظر (الفتح / ٣ / ٢٩٨) تحت حديث (١٣٧٠) .

كقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية وقوله ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَفْتِيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١] الآية (١)

**الدليل السابع:** ما أخرجه النسائي في سننه (٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام ».

ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع سلام المسلمين عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى . وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه صلى الله عليه وسلم لا يسمع غير السلام من الكلام وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى ، ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيدا عنه (٣) والحديث المروي في ذلك موضوع وهو ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه النسائي برقم (١٢٨٢) وصححه العلامة الألباني في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٢١) وفي المشكاة (٩٢٤).

(٣) مقدمة الآيات البيئات (ص ٣٧).

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من صلى علي عند قبري سمعته و من صلى علي نائياً أبلغته» (١) .

🌸 المذهب الثالث : نفي السماع مطلقاً : وهذا ظاهر مذهب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

دليلها على ذلك :-

استدلّت رضي الله عنها بعموم الآيات وذلك لما بلغها أن ابن عمر رضي الله عنهما رفع إلى النبي ﷺ «أن الميت ليعذب في قبره ببكاء أهله» . فقالت وهل ابن عمر رضي الله عنه إنما قال رسول الله ﷺ «أنه ليعذب بخطيئته وذنبه وان أهله ليكون عليه الآن (٢)» . قالت وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم مثل ما قال «إنهم ليسمعون ما أقول» . أنها قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق» . ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ . تقول حين تبوؤوا مقاعدهم من النار .

وهذا اجتهاد منها رضي الله عنها وأرضاهما حيث ردت رواية الصحابة العدول في ذلك متمسكة بظاهر النفي في الآيات الكريمة وذلك لخفاء القصة عليها، قال العلامة الألباني قدس الله روحه ونور ضريحه: فخطؤها ليس في الاستدلال بالآية وإنما في خفاء القصة عليها على حقيقتها ولولا ذلك لكان موقفها موقف

---

(١) انظر: ضعيف الجامع، حديث رقم (٥٦٧٠).

(٢) تقدم تخريجه .



سائر الصحابة منها ألا وهو الموقف الجازم بها على ما أخبر به النبي ﷺ واعتبارها مستثناة من الآية (١).

### ✿ المذهب الرابع : التوقف في ذلك :-

وهو ظاهر كلام الإمام ابن عبد البر رحمته في «التمهيد» (٢٤٠ / ٢٠) حيث قال بعد ذكر حديث «السلام عليكم دار قوم مؤمنين..» وقد احتج به من ذهب إلى أن أرواح الموتى على أفنية القبور والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ بسلامه عليهم وقد نادى أهل القليب ببدر وقال ما أنتم بأسمع منهم إلا أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا قيل إن هذا خصوص وقيل إنهم لم يكونوا مقبورين لقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ وما أدري ما هذا، وقد روى قتادة عن أنس في الميت حين يقبر أنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين وهذه أمور لا يستطيع على تكييفها وإنما فيها الاتباع والتسليم. وهو ظاهر كلام العلامة ابن عثيمين رحمته في «القول المفيد» (٣٧١ / ١) وذلك بعد أن ذكر الخلاف في المسألة ثم قال : وعلى كل فالقولان متكافئان والله أعلم بالحال (٢).

(١) مقدمة الآيات البيّنات للألباني (ص ٢٣).

(٢) تنبيه: في بعض طبعات «القول المفيد» ليس فيها ذكر هذه الزيادة التي فيها التوقف ، فالله أعلم .

## الترجيح

الذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء ، ولا يشعرون بهم وأن ذلك عام في كل الأوقات ، وهذا الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة وذلك لأن السماع أمر غيبي لا يثبت إلا بشرع وقد ثبت عندنا في الشرع قضيتان

**القضية الأولى :** ما ثبت به الحديث الصحيح من سماع أصحاب القلب لرسول الله ﷺ .

**القضية الثانية:** ما ثبت أيضاً من سماع الميت قرع نعال المشيعين عند انصرافهم من دفنه. فهذان أمران ثابتان نؤمن بهما ونتوقف عليهما ، ولا يجوز لنا التوسع بالأقيسة والآراء في الأمور الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولهذا قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله كما في «الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري» (١/ ٣٩٤) تحت حديث (١٣٣٨) الميت لا يسمع إلا ما ورد به النص فلا يسمع كلامهم وأمورهم إلا بدليل كسماع قتلى بدر ، أو قرع النعال اهـ ويدل على هذا الاختيار ما يلي :-

**الدليل الأول:** ما تقدم ذكره من الآيات في سورة النمل ، والروم ، وفاطر ، وهي صريحة في نفي سماع الأموات والواجب على المؤمن نحو هذه الأمور الغيبية أن يؤمن بما جاء به النص ولا يتجاوز ذلك ، فإن الآيات الكريمة فيها نفي السماع مطلقاً وما جاء في قصة أصحاب القلب وحديث قرع النعال فإنه مخصص له ،

ولهذا قال الإمام الشوكاني رحمته: وظاهر نفي إسماع الموتى العموم فلا يخص منه إلا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام خاطب القتلى في قلب بدر فقبل له يا رسول الله إنما تكلم أجسادا لا أرواح لها وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له إذا انصرفوا <sup>(١)</sup>. اهـ.

**الدليل الثاني:** قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

﴿الأنعام: ٣٦﴾ حيث شبه سبحانه وتعالى الكفار الأحياء بالموتى في عدم السماع فدل على أن المشبه به وهم الموتى لا يسمعون من باب أولى ولهذا قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتا ولا يعقلون دعاء ولا يفقهون قولاً.

**الدليل الثالث:** قوله تعالى في تمام الآية من سورة النمل: ﴿وَلَا تَسْمَعُ الْكُفَّاءُ إِذَا

**وَلَوْ أَمْدَرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]** فقد شبههم الله تعالى - أعني موتى الأحياء من الكفار بالصم أيضا فهل هذا يقتضي في المشبه بهم ﴿الصَّمَّ﴾ أنهم يسمعون أيضا ولكن سماعا لا انتفاع فيه أيضا أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقا كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه. وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا الذي نقول فقال ابن

(١) انظر: فتح القدير عند قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠].

جرير في «تفسيره» لهذه الآية : هذا مثل معناه : فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعاً .

**الدليل الرابع :** أن هذا القول فيه إعمال للآيات والأحاديث معاً ، بخلاف القول بإثبات السماع للأموات فإن القائلين به أولوا الآيات ونفوا دلالتها على عدم السماع وقد تقدم بيان ذلك كله وأن الآيات صريحة في نفي السماع .

وأما الجواب عن الأحاديث التي تدل بظاهرها على أن الموتى يسمعون كلام الأحياء ويشعرون بهم فقد تقدم الجواب عليها بما يكفي ويشفي وحاصل هذا الجواب أن الأحاديث التي استدلوأها على أنواع نذكرها على النحو التالي :-

**النوع الأول :** أحاديث صحيحة ، وهي ما رواها جمع من الصحابة في قصة قلب بدر إلا أنها متعلقة بالنبى ﷺ وهي محمولة على أنها من خصوصيات النبى ﷺ ، ومعجزاته .

**النوع الثاني :** حديث صحيح ، وهو حديث سماع الميت لقرع النعال ، إلا أنه لا يدل على عموم السماع في كل الأحوال والأوقات كما تقدم بيانه ، وأيضاً لا يلزم من سماع قرع النعال أن يسمع كلام الأحياء ودعائهم واستغفارهم .

**النوع الثالث :** أحاديث صحيحة ، وهي أحاديث السلام على الموتى ، وقد تقدم أن السلام على الموتى لا يعني أنهم يسمعون ، فراجع إن شئت .

**النوع الرابع:** حديث صحيح ، وهو حديث عمرو بن العاص إلا أنه موقوف ، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ ، والقول بأن له حكم الرفع غير مسلم .

**النوع الخامس:** أحاديث ضعيفة لا يصح الاستدلال بها ، وقد تقدم الكلام عليها في مواضعها بحمد الله تعالى . وإذا علمت أن الموتى لا يسمعون ، فاعلم أن الله تعالى إذا أراد إسماع من شاء بما شاء متى شاء لم يمتنع ، فالله على كل شيء قدير .

**وأخيراً أقول:** هذا ما توصلت إليه بعد دراسة طويلة لهذه المسألة وهو جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله الواحد المنان ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، وأستغفر الله وأتوب إليه .



## فهرس الموضوعات

٢	المقدمة .....
٥	التمهيد .....
٦	المذهب الأول : أن الموتى في قبورهم يسمعون كلام الأحياء ويشعرون بهم .....
٥٠	المذهب الثاني : أن الموتى لا يسمعون كلام الأحياء إلا في مواطن مستثناة .....
٧٢	المذهب الثالث: نفي السماع مطلقاً : وهذا ظاهر مذهب أم المؤمنين عائشة <small>رضي الله عنها</small> ...
٧٣	المذهب الرابع : التوقف في ذلك :- .....
٧٤	الترجيح .....
٧٨	فهرس الموضوعات .....